Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (3) (JUNE, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) ملحق العدد 3 يونيو 2026
ردمد: 3135-2359

السياق اللغوي في رواية إرث الرماد لعبدالسلام عصمان

د، نادين خمير

قسم اللغة العربية – كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

N.KHAMEER@ZU.EDU.LY

https://orcid.org/0009-0007-2642-2972

The Linguistic Context in Abdelsalam Osman's Novel "The Legacy of Ashes"

Dr. Nadine Khmeir

Department of Arabic Language – Faculty of Arts, Zawiya – University of Zawiya

تاريخ الاستلام: 2026/6/29 تاريخ المراجعة 2026/7/20 تاريخ القبول:2026/7/28- تاريخ النشر: 2026/8/5

الملخص:

يساهم السياق في توضيح دلالة اللفظ؛ لأنه يلعب دوراً بارزاً في الوصول إلى المعنى من خلال التركيب الذي ينشئه المرسل إذ يعتمد على طبيعة الاستعمال والغرض المقصود منه فتتنوع الدلالة وفق ارتباط الألفاظ واستعمالها ليحدد السياق المعنى بدقة ولهذا لا يجوز دراسة أي تركيب بمعزل عن السياق؛ لأنه العنصر الأساسي في توضيح الدلالة اللغوية التي تؤدي إلى تنوع السياقات، فالكلمة تكتسب معناها الدقيق من خلال موقعها داخل التركيب، إذ تتراص الألفاظ في انسجام يقدّم دلالة تامة، وإفادة تساهم في إبانة المقصود وإزالة الغموض، هذا التراص والتعالق يشكل سياقات متعددة، داخلية وخارجية، يمنحها المرسل نصًا تتوارد فيه، فتبرز بها الصور الجمالية والبيئة الزمانية والمكانية والظروف المحيطة بإنشاء النص والغرض منه.

الكلمات المفتاحية: **السياق – اللغوي – رواية – إرث الرماد – عبدالسلام عصمان**

Abstract:

Context contributes to clarifying the meaning of words because it plays a prominent role in arriving at meaning through the structure created by the sender. This structure depends on the nature of usage and the intended purpose. Meaning varies according to the connection and use of words, with context precisely defining meaning. Therefore, no structure can be studied in isolation from its context, as it is the fundamental element in clarifying linguistic meaning, which leads to a diversity of contexts. A word acquires its precise meaning through its position within the structure, where words are arranged harmoniously to provide a complete meaning and a benefit that contributes to clarifying the intended meaning and removing ambiguity. This arrangement and interrelationship form multiple contexts, both internal and external, which the sender gives to the text. These contexts are then incorporated, highlighting aesthetic imagery, the temporal and spatial environment, and the circumstances surrounding the creation of the text and its purpose.

Keywords: Context - Linguistic - Novel - The Legacy of Ashes - Abdelsalam Osman

المقدمة:

ازداد اهتمام علماء اللغة المحدثين بدراسة السياق؛ لكونه وسيلة تُسهم في بيان دلالة التركيب، فالمفردات ترتبط بعضها ببعض، وتتعالق فيما بينها؛ لتحقق مقصد المتكلم وغرضه، ولهذا لا يمكن فهم ما تحيل إليه الألفاظ

دون الرجوع إلى سـياق تلفظها وإدراك القرائن المحيطة بها، ويعتمد السـياق اللغوي على دراسـة الجوانب النحوية والصوتية والصرفية والدلالية؛ لأنها ركيزة أساسية لانسجام النص وتلاحمه.

المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

السياق لغةً:

يُعد لفظ السـياق مشـتقًا من الجذر اللغوي (س – و – ق)، وأصـله (سـواق)، والكلمة مصـدر (سـاق): يسـوق، سـوقًا، وسـياقًا، وسـاق إليها الصـداق والمهر سـياقًا؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا سـاقوا الإبل والغنم مهرًا؛ لأنها كانت الغالب على أموالهم (ابن منظور، 2000، 484).

ومنه أيضاً: «سوق الإبل: جلبها وطرحها، يقال: سقتُه فانساق؛..، والسيقة ما يُساق من الدواب، وسقت المهر إلى المرأة؛ ذلك أن مهورهم كانت إبلًا» (الأصفهاني، د.ت، 320).

وتسـاوقت الغنم؛ أي تزاحمت في السـير، والسـيقة ما اسـتاقه العدو من الدواب (آبادي، دار المعرفة، 655–656).

وبذلك تفيد الدّلالـة اللّغويـة التتـابع والانقيـاد، وهمـا من المتطلبـات التي تتوافر في الإنتـاج النصـــي الخطابي؛ كونه تتابعًا وانقيادًا للأصوات والكلمات والتراكيب في تسلسل واندماج.

السياق اصطلاحًا:

«بيئة الكلام ومحيطه وقراءته» (فتحي، 1986، 201)، أي: «المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات؛ فإذا اتضـحت وظيفة الكلمة، اتضـح مكانها في هيكل الأقسـام التي تنقسـم الكلمات إليها» (حسـان، 1985، 233).

إذًا، يتمثل السياق في تتابع الكلمات والفقرات تتابعًا متسلسلًا ومتجانسًا، في إطار الظروف والملابسات التي تحيط بها، مع مراعاة حال المتكلم والسامع؛ وهو الضامن الوحيد لتحديد مدلول العبارات.

وهذا يبرهن على أن السـياق إطار تتلألأ فيه الدلالات الناتجة عن تلاحم المفردات؛ للتعبير عن غرض ما أو موقف كلامي معين، وفق معطيات اجتماعية ونفسية وثقافية تضبط المعنى الخاص، يقول الجرجاني: «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضـها ببعض، ويُبنى بعضـها على بعض، ونجعل هذا بسـبب تلك» (1992، 55)، فالمعنى الدلالي للتراكيب لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وصفها في سياقات مختلفة (عمر، 1998، 68).

وعلى يرتبط التركيب بدلالته، ويتجلى في صورته الكاملة للمعنى من خلال السياق؛ ليحقق دلالة السياق في فهم النص، مع مراعاة ما قبله وما بعده، ليظهر أثره في مجالات الترابط والانتظام بالنسـبة إلى كل كلمة وفق استعمالاتها (عمر، 1998، 78).

ومما يدل على أنّ دلالـة اللفظ تتنوع وتختلف وتترادف قول سـيبويه: «اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وسـنرى ذلك إن شـاء الله، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه من الموجدة، ووجدتُ إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير» (2004، 24).

فسـيبويه يذكر أنّ الألفاظ تختلف لاختلاف المعاني، كما قد تختلف الألفاظ ويكون المعنى واحدًا، وقد تتفق الألفاظ وتختلف المعاني، وهو أيضًا ما تحدث عنه ابن جني عند طرحه موضوع علاقة اللفظ بالمعنى (ابن جني، 2008، 499–505).

ومن هذا، فإنّ الألفاظ تتنوع كما تتنوع الدلالات، وهذا التنوع يسهم في تحديد دلالة السياق من خلال استعمال اللفظة داخل التركيب اللغوي؛ لأنها لا تملك وجودًا مجردًا مستقلًا بذاته، بل يتحقق وجودها من خلال استعمالها في نسق معين وفق قواعد معينة؛ لكي يتبين المعنى ويتضح المقصود منها ومن ترابطها، فهي تحمل أكثر من معنى خارج السياق اللغوي، وهذا يدل على أن أهمية السياق تتضح وتتجلى في تحديد المعنى وبيانه.

ويرتبط السياق بمستويين هما (تسليم حمدان، 2016، 44):

1. ارتباط الكلام بالسياقات الصوتية.
2. تموضع الكلمة المجردة في الجملة وارتباطها بالقواعد المنظمة للتركيب.

وهذان المستويان يمتزجان؛ ليحددا المعنى الدقيق، ويزيلا الغموض والإبهام عن السياق.

فالسياق اللغوي يعتمد على العناصر اللغوية في إدراك المعنى وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، ويشمل أنواعًا تتمثل في الآتي:

1. السياق النحوي.
2. السياق الصوتي.
3. السياق الصرفي.
4. السياق الدلالي.

وسنعرضها على النحو الآتي:

1. السياق النّحوي:

وهو السياق الذي يهتم بالكلمة ووظيفتها وعلاقتها بالتركيب وفق البنية النحوية (العامري، 2010، 42).

وبتوضيح أدق، يتمثل السياق النحوي في الهيئة التركيبية التي تشمل الترتيب والقرائن اللفظية التي تحيط بالكلمة؛ لتحديد معناها الدقيق وتوضيح وظيفتها الإعرابية.

وتشمل القرائن النحوية: الترتيب، ويتضمن التقديم والتأخير، والإضافة، والحذف؛ وسنعرض ذلك فيما يأتي:

أولًا: التقديم والتأخير:

يقصد به التوضيح والإبانة لبعض مواقع الكلمات داخل التركيب، ويستعمل للإشارة إلى رتبة كل كلمة في الجملة؛ فتؤدي دلالتها وفق مكانة خاصة بها.

يقول الجرجاني: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ من مكان إلى مكان» (1992، 106).

أي إنه بيان لمواقع بعض التراكيب عن طريق تقديمها أو تأخيرها، دون أن يؤدي ذلك إلى خلل في دلالتها، والضابط لذلك هو الإعراب؛ لأنه يحفظ لكل كلمة موقعها في بناء الجملة (، 2000، 94).

وتكمن أهمية التقديم والتأخير في العناية والاهتمام؛ إذ إنهم لم يقدموا شيئًا يجري مجرى الأصل إلا لهذا السبب (الجرجاني، 1992، 107).

جاء في نص الرواية: «رجلا يتذوقُ صبرهُ كطعنةٍ مالحةٍ، أو كصعقةٍ الأسى، صيّرتْهُ الأيامُ ريحًا ليكابِدَ ركضًا دون بلوغ المآلات» (عصمان، 2023، 7).

يحوي هذا النص تركيبًا فعليًا يتمثل في قوله: (صيّرته الأيامُ ريحًا)، إذ يشتمل على فعل وفاعل ومفعول به؛ فـ(صيّر) فعل ماضٍ مبني على الفتح، و(التاء) تاء التأنيث الساكنة، أما (الهاء) فهي ضمير متصل مبني

على الضـــم في محل نصـــب مفعول به مقدم، و(الأيامُ) فاعل مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضـــمة الظاهرة على آخره، و(ريحًا) مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره؛ وهنا تقدم المفعول به على فاعله وجوبًا؛ لكونه ضميرًا متصلًا، والفاعل اسم ظاهر، والداعي إلى هذا التقديم هو جذب الانتباه وتركيز الاهتمام على الحالة التي صار عليها، ومن التقديم والتأخير أيضًا قوله: «اللغةُ، السلامُ الهاربُ إلى المجهول، ضبابٌ يقلقني، يملؤه بياض المعنى» (عصمان، 2023، 6).

ففيه تركيب فعلي يتكون من فعل مضـــارع مرفوع وعلامة رفعه الضـــمة، ويتمثل في قوله: (يملأ)، وضـمير متصـل بالفعل، وهو (الهاء)، مبني على الضـم في محل نصـب مفعول به مقدم، أما لفظ (بياضُ) فهو فاعل مرفوع بالضـمة الظاهرة على آخره، ولفظ (المعنى) مضـاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسـرة المقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر، وهنا يفيد التقديم توجيه تركيز المتلقي إلى العنصـــر الذي يريد المتكلم بيانه وإبرازه.

ثانيًا: الحذف:

هو تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى (الرماني، 1934، 1)؛ فلا يُحذف شـــيء إلا بدليل، ويصـــفه الجرجاني بقوله: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبن» (1992، 146).

فالحذف ظاهرة لغوية تُعنى بالإيجاز والاختصـــار، يقول ابن جني: «قد حذفت العرب الجملة والحرف والحركة، وليس شـــيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضـــرب من تكليف علم الغيب في معرفته» (2008، 140).

ولهذا «وجب أن يُقدّر الشيء في مكانه الأصلي» (الأنصاري، 2005، 260).

وللحذف أنواع مختلفة تُصـنّف إلى: حذف واجب أو جائز، وحذف قياسـي أو سـماعي، وحذف مسـتلزم لتقدير معين أو غير مستلزم له.

يقول الراوي: «حين يبتلع قذيفة بهذا الصـــبر المثير للظن» (عصـــمان، 2023، 40)، فجملة «يبتلع قذيفةً» تركيب فعلي يتكون من فعل مضـارع مرفوع بالضـمة، والفاعل ضـمير مسـتتر تقديره (هو)، ولفظ (قذيفةً) مفعول به منصـــوب بالفتحة الظاهرة على آخره، وهذا الحذف، المتمثل في الفاعل المســـتتر، يفيد دلالة عامة تقتضـــي عظم الابتلاء وهول المحن، وإذا أتممنا الدلالة مع بقية النص، فإن الصـــورة المعنوية له تدل على قدرة الإنسان على تجاوز هذه المحن بالصبر والعزيمة.

ومن هذا الحذف أيضًا قوله: «رجل يتذوق صبره كطعنة مالحة» (عصمان، 2023، 7)، حيث يشتمل هذا التركيب على جزأين: يتمثل الأول في حذف المبتدأ من قوله: (رجل يتذوق صـــبره)، والتقدير فيه: (هو رجل يتذوق صـــبره)، والغرض من حذفه هنا بيان حال الخبر وإظهارها، أما الجزء الثاني فيتمثل في: (يتذوق صـــبره)، حيث يتكون من فعل مضـارع مرفوع وعلامة رفعه الضـمة، والفاعل ضـمير مسـتتر تقديره (هو)، ولفظ (صـبرَ) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف، والضمير المتصل (الهاء) في محل جر بالإضافة، وهذا التركيب يحمل معنى يفيد قوة هذا الرجل وقدرته على تحمل الألم والصبر.

ثالثًا: الإضافة:

عرّفها مصطفى الغلاييني بقوله: «هي نسبة بين اسمين على تقدير حرف جر، توجب جر الثاني أبدًا» (2005، 584)، أي إن هذه النسبة تربط بين اسمين بتقدير حرف جر مناسب يبينه سياق الكلام، ويسمى الاسم الأول مضافًا، فيُعرب بحسب موقعه في الجملة، ويسمى الاسم الثاني مضافًا إليه، وهو مجرور دائمًا، وللإضافة أربعة أنواع:

الأول: الإضافة اللامية:

وهي على تقدير حرف (اللام)، وتحمل دلالة الملك أو اختصـــاص الأول (الغلاييني، 2005، 584)، ومن النماذج التطبيقية لها في الرواية قول الراوي: «سوف أقوم بنحت الأخاديد لحفر قصتي في أعمدة الأرض» (عصمان، 2023، 35)، حيث نجد الإضافة اللامية تتمثل في: (سوف أقوم بنحت الأخاديد لحفر قصتي)، فتركيب (بنحت الأخاديد) يشتمل على حرف جر، متمثل في (الباء)، والاسم المجرور بالكسرة، المتمثل في لفظ (نحت)، وهو مضـــاف، ولفظ (الأخاديد) مضـــاف إليه مجرور بالكســـرة على تقدير حرف (اللام)، فيكون تقدير التركيب: (بنحت للأخاديد).

ويحمل قول الراوي تركيبًا آخر للإضـافة جاء في: (لحفر قصـتي)، فاللام هنا حرف جر، ولفظ (حفر) اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، أما لفظ (قصـتي) فمجرور بالإضـافة على تقدير حرف (اللام)، وعلامة جره الكســـرة المقدرة، منع من ظهورها اشـــتغال المحل بحركة الكســـر المناســـبة للياء، وتقدير هذا التركيب: (لحفر لقصتي)، وقدمت هذه الإضافة بيانًا لدلالة النص، وأفادت معاني تشبيهية توضح مراد المتكلم وغرضه في تخليد أثره وبقائه محفورًا في الذاكرة كالأعمدة الثابتة في الأرض.

ومن الإضـافة اللامية أيضًـا قول الراوي: «لا يتوسل ودَّ العواصف وسط البحور» (عصمان، 2023، 20).

فـــ(لا) للنفي، و(يتوسل) فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

أما لفظ (ودَّ) فهو مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضـاف، ولفظ (العواصـف) مضـاف إليه مجرور بالكسرة على تقدير حرف (اللام)، ليكون تقدير التركيب: (لا يتوسل ودًّا للعواصف)، وقدمت الإضافة دلالة للسـياق تفيد أن المتكلم لا يهاب العواصـف والمصـاعب، ولا يرى فيها أي خطر عليه، بل هي مجرد تحدٍّ صغير أمام قدراته وعزيمته.

ثانيًا: الإضافة البيانيّة:

وهي الإضـافة التي تكون على تقدير حرف (من)، فالمضـاف إليه فيها يكون جنسًـا للمضـاف، بحيث يكون المضـاف بعضًـا من المضـاف إليه (الغلاييني، 2005، 584)، يقول الراوي: «كبرت وأنا أتعلق بالأشـياء البسيطة، من حبات قمح، وطين المدينة التي كانت وادعة» (عصمان، 2023، 55).

فتركيب (من حبات قمح) يشـــتمل على حرف الجر (من)، ولفظ (حبات) اســـم مجرور وعلامة جره الكسـرة، وهو مضـاف، ولفظ (قمح) مضـاف إليه مجرور وعلامة جره الكسـرة، على تقدير حرف (من)، وتقدير التركيب: (من حبات من قمح)، فالحبات بعض من القمح.

ومن الإضافة البيانية أيضًا قول الراوي: «تفرد بساتين التفاح الكلمات في حفلتي ردحًا من أزمنة البكاء» (عصـمان، 2023، 72)، فتركيب (تفرد بسـاتين التفاح) يشـتمل على فعل ماضٍ، ولفظ (بسـاتين) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضـمة، وهو مضـاف، ولفظ (التفاح) مضـاف إليه مجرور وعلامة جره الكسـرة على تقدير حرف

(من)، أي: (تفرد بساتين من تفاح)، وتفيد الإضافة تفرد بساتين التفاح التي تمتاز بجمال ثمارها ونضارتها وطراوة أوراقها، في محفل بهيّ زاهٍ.

ثالثًا: الإضافة التشبيهيّة:

هي ما كانت على تقدير كاف التشبيه، والضابط فيها أن يضاف المشبه به إلى المشبه (الغلاييني، 2005، 586).

يقول الراوي: «تزحف أنتي القصب نحو شرايين الحلم المجعد، تقتفي أثر الفتات» (عصمان، 2023، 53)، فالتركيب: (نحو شرايين الحلم المجعد)، يشتمل على لفظ (نحو)، وهو ظرف مكان منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، ولفظ (شرايين)، وهو مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة تحت آخره.

أما لفظ (الحلم) فهو أيضًا مجرور بالكسرة؛ لكونه مضافًا إليه على تقدير حرف الكاف، فيكون التركيب على النحو الآتي: (نحو شرايين كالحلم المجعد).

وهنا تمنح الإضافة دلالة تسهم في توضيح المعنى العام؛ إذ إن الشرايين تنبض بالحياة، وإن الحلم المجعد يوحي بالمعاناة، وكأن الحلم أصابته الكهولة؛ مما يشير إلى صعوبة الوصول إلى الهدف.

رابعًا: الإضافة الظرفية:

يكون فيها المضاف إليه مجرورًا على تقدير حرف (في)، والضابط فيها أن يكون المضاف إليه ظرفًا للمضاف، بحيث يفيد زمان المضاف أو مكانه (الغلاييني، 2005، 584–585).

يقول الراوي: «كنت أرفل صوبه كي أتقيه، ظلي الذي يأخذ شكلي كل ظهيرة» (عصمان، 2023، 74)، فتركيب (يأخذ شكلي كل ظهيرة) يمثل إضافة ظرفية تتكون من لفظ (شكلي)، وهو مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل الياء، و(كل) ظرف زمان منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، ولفظ (ظهيرة) مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة تحت آخره، وهو ظرف زمان دال على وقت الظهر.

ولفظ (كل) إذا أضيف إلى الزمن يأخذ حكمه الإعرابي، وهو النصب على الظرفية، وبذلك يكون تقدير التركيب: (ظلي الذي يأخذ شكلي في كل ظهيرة)، وقد أسهمت الإضافة هنا في بيان دلالة السياق؛ إذ تفيد الوضوح واليقظة، لأن وقت الظهر يدل على اشتداد الشمس.

2. السياق الصوتي:

يُعد الصوت ظاهرة طبيعية تستلزم وجود جسم يهتز اهتزازات محسوسة، تنتقل في موجات عبر وسائط مختلفة، كالوسط السائل، والوسط الغازي، والوسط الصلب، حتى تصل إلى الأذن البشرية (أنيس، 1970، 60)، فيترجمها العقل البشري ويتفاعل معها؛ لتخرج الفكرة وفق ضوابط لغوية على هيئة جمل وتراكيب ذات معانٍ ومقاصد مختلفة، ولهذا نجد أن ابن جني ربط اللغة بكونها أصواتًا ذات طبيعة لغوية وغايات؛ فمعاني تلك الأصوات مقصودة، وهي معانٍ تركيبية سياقية، وليست معاني إفرادية، وأنها مستقرة في الوعي اللغوي للمبدع (ابن جني، 2008، 17).

فالأصوات تسهم في نقل الأفكار والتراكيب والصيغ؛ للتعبير عن أغراض الناس، كما أن الأصوات تؤثر وتتأثر بعضها ببعض عن طريق المجاورة، بحسب السياق الموجودة فيه.

فالوحدات الصوتية التي يتلفظ بها المتكلم، وفق أغراض وأحداث وأزمنة مختلفة، ينتج عنها التشكيل الصوتي، سواء أكان نبرًا أم تنغيمًا أم مقطعًا أم وقفًا، وغير ذلك.

يقول ابن جني: «إن هناك تفاعلًا دائبًا بين السياق وبين التشكيل الصوتي؛ فالمبدع يختار، بوعي أو بلا وعي، التشكيل الصوتي المناسب للسياق الذي يخوض فيه، كما أن السياق هو الذي يخلع على التشكيل الصوتي إيحاءاته المناسبة له» (2008، 16–17).

ولهذا يُعد السياق الصوتي اجتماعًا للأصوات بلا فاصلة؛ أي أنه البيئة المحيطة بالصوت، وفيه يتحدد نطق الصوت من حيث المخارج والصفات.

ومن خلاله يتجلى لنا التنغيم، والنبر، والإيقاع، والتجانس، الناتج عن الانسجام الصوتي والدلالي للحروف والكلمات.

ومن نماذج التشكيل الصوتي:

1. التكرار:

يقصد به إعادة صوت أو لفظ أو تركيب يوحي بقوة المعنى، إذا لم يكن فيه تكلف أو إشعار للسامع بالملل (مسعود، 2008، 42)، ومن أمثلته:

1. تكرار الصّوت.
2. تكرار الكلمة.

وقد تطرق الجرجاني إليه في كتابه «التعريفات» بقوله: «الإتيان بشيء مرة بعد أخرى» (، 28)، وهو أيضًا: «تكرار لفظين مرجعهما واحد» (عبد المجيد، 1998، 75).

فتكرار الصوت أو اللفظ في السياق يسهم في تقوية معناه، ويبرز دور التكرار في تماسك النص؛ لأن «قاعدة التكرار الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول» (بوقرة، 2009، 100).

ليقدم التكرار إفادة توضح الفكرة التي وُضع من أجلها، بالإضافة إلى أنه يفيد الربط الشكلي للنص، فيقوي معناه، ويؤدي وظيفة تسهم في انسجامه وتدعم تماسكه.

ومن النماذج التطبيقية للتكرار قول الراوي: «كان عليّ أن أدعي النرجسية لكي أنجو من المنافسة، جسم تبرق عيناه المشحونتان بالدماء القزحية، تضخان ضوءًا بنفسجيًا وراثي النيازك النارية» (عصمان، 2023، 10).

نلحظ في هذا النص تكرار عدة أصوات، منها:

صوت النون الذي يحمل صفة الجهر والتوسط، ومخرجه لثوي أسناني أنفي.

وصوت السين الذي يحمل صفة الهمس والرخاوة واللين، ومخرجه وسط اللسان، وصوت الهمزة الذي يحمل صفة الجهر والقوة؛ لأن مخرجه من الحلق، وصوت التاء الذي يحمل صفة الشدة والهمس والانفتاح، ومخرجه من طرف اللسان ومقدمة اللثة.

هذا التناغم والتقارب في صفات الأصوات ومخارجها أسهم في تناسق السياق وسلاسته، وأتم معناه؛ فحمل دلالة اللوم على النفس والعتاب، حيث إن عيونه تشع غضبًا واختناقًا، كقزحية امتلأت بالدماء، وتبعث طاقة انتقامية مدمرة.

ومن تكرار الصوت أيضًا التضعيف، يقول الراوي: «حزنًا يتساقط من أجفاني نحو اللاشيء» (عصمان، 2023، 20).

وتكرار السين، التي تحمل صفة الهمس والضعف والانسياب، مرتبط هنا بحالة الضعف وانسكاب الدموع، وكأن الحزن يخرج من العين ببطء شديد نحو اللاشيء.

ومن تكرار الكلمة قول الراوي: «لقد شربت كل الفواجع والمواجع، وقاومتها بإرادة حديدية، بكتلة صبر ذاتية داخلية» (عصمان، 2023، 22)، ويتمثل التكرار في لفظي (الفواجع) و(المواجع)، وهو تكرار بالمرادف دال على التوكيد، الذي يفيد جذب التركيز والانتباه؛ إذ يؤكد شدة الألم وكثرة الأحزان، وقد أردف التكرار بصورة أعمق تحمل شدة التحمل والقوة، واستخدم لذلك قوله: (وقاومتها بإرادة حديدية، بكتلة صبر ذاتية داخلية).

2. التنغيم:

يمثل التنغيم تغيرًا في الأداء الصوتي، بالارتفاع أو الانخفاض أثناء الكلام العادي (الموسوي، 1993، 137)، وتخضع الأصوات لقواعد معينة في تجاورها وارتباطها ومواقعها، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، ويتم التنغيم على مستوى الملفوظ بأن يخفض الصوت، فيكون تنغيمًا منخفضًا، أو يرفع فيكون تنغيمًا متصاعدًا أو مرتفعًا، أو يُبقى الصوت في مستواه الأول، فيكون تنغيمًا خطيًا؛ لأنه مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية، ويقدم الوظيفة الصوتية التي تمثل «النسق الصوتي الذي يُستنبط التنغيم منه» (حسان، 1985، 164)، ووظيفة دلالية من خلال التنويع بين الأنماط التنغيمية للبنية التركيبية الواحدة (البايبي، 2012، 271).

ويشمل التنغيم ثلاث نغمات:

1. نغمة واسعة: وتحدث بسبب اندفاع الهواء من الرئتين، فيخرج مثيرًا للأحبال الصوتية؛ لينشأ صوت مرتفع أو واسع.
2. نغمة متوسطة: يقصد بها خروج الهواء بشكل اعتيادي، فيحدث صوتًا متوسطًا يُستعمل في المحادثات العادية.
3. النغمة الضيقة: وفيها يخرج الهواء بشكل هادئ وخفيف، فينتج صوتًا منخفض النغمة، ويُستعمل في الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعهما أحد.

وعلى هذا، فالتنغيم أنواع مختلفة، منها: تنغيم الاستفهام، وتنغيم الأمر، وتنغيم الوعيد، وتنغيم النداء، وتنغيم الدعاء، وغيرها، ونمثل لبعضها بما يأتي:

1. النداء:

يقول الراوي: «اسمع يا حفيدي، دائمًا كن الأقرب بخطوة، ولا تجعل المسافة فرصة شاسعة» (عصمان، 2023، 16)، ويحمل السياق تنغيم النداء، إذ استخدم الجد أداة النداء (يا) التي يؤتى بها لجذب الانتباه والتركيز، فكانت نغمتها مرتفعة؛ لأنها تتطلب ارتفاع الصوت، ثم أَتْبَعها بلفظ (حفيدي)، وفيه من اللين والحنو ما جعل النغمة منخفضة؛ لإبراز عاطفة الأبوة التي تبين صلة القرابة.

ومن النداء أيضًا قوله: «يسوءني يا بني أن ترى فيَّ منتبذًا للرماد» (عصمان، 2023، 11)، حيث يقدم النداء دلالة الاستعطاف والتودد في قوله: (يا بني)، التي تبرزها صلة القرابة من خلال إصدار النداء للمتلقي، فأدى نغمة صاعدة لارتفاع الصوت، والغرض منه استمالة قلب المتلقي وإظهار عاطفته نحوه ، ومنه أيضاً قول الراوي: «ألا ترى معي، يا جدي المخضرم، أنّ هذا العالم يشتد سواده كجدار محبوط سواده؟»، فالنّداء هنا كان صادرًا من الحفيد إلى جده، محملًا بمعنى التوقير والاستعطاف؛ فجاءت نغمة النداء منخفضة؛ لتتلاءم مع غرض المتكلم، وتنسجم مع نبرته العاطفية.

2. الأمر: يقصد به طلب فعل يصدر على هيئة إلزام واستعلاء من قِبل المتكلم للمخاطب (عتيق، 2009، 75–76).

يقول الراوي: «لا تقلق يا صغيري، إن أصعب الحنين هو اشتياقك لذاتك، لا شيء يستحق تمزق البال وحيرة النفس» (عصمان، 2023، 21).

فتركيب (لا تقلق يا صغيري) يحمل نغمة هادئة متوسطة تشعر بالطمأنينة، والأسلوب هنا طلبي ممتلئ بمشاعر الحنو والعطف.

ومنه أيضًا قول الراوي: «لا تسألني شيئًا، لقد رأيت أنّ الأفكار حين تبحث عن مجراها تعثر على الفراغ» (عصمان، 2023، 12)، وقد دل سياق الأمر على نغمة قوية صاعدة، محملة بانفعال ورفض، أكدهما استخدام (لا) الناهية.

3. الاستفهام:

يقصد به طلب الفهم والعلم من المخاطب بشيء ما يجهله المتكلم، وله عدة أدوات، منها: الهمزة، وهل، ومن، وماذا، وما، ومتى، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي (عتيق، 2009، 88).

يقول الراوي: «ما الذي يجعل الجسيمات تنزل إلى أرضنا من دورانها الأبدي المصقول؟» (عصمان، 2023، 3).

يحمل الاستفهام هنا نغمة واسعة قوية وصاعدة، أكدها تساؤل المتكلم حول نزول الجسيمات إلى العالم الأرضي، معبرًا عن الحيرة والدهشة والاستغراب.

كذلك يقول الراوي: «يسأل الصبي جده: كيف لهذه الأرض أن تضيع في لحظة شيطانية مجنونة؟» (عصمان، 2023، 23).

فالاستفهام المتمثل في قوله: (كيف لهذه الأرض أن تضيع في لحظة شيطانية مجنونة؟) يحمل نغمة قوية صاعدة، تعكس مدى الصدمة والذهول في استفهام إنكاري تعجبي.

4. السياق الصرفي:

يقصد به دراسة السياق من الناحية التي تُعنى بأبنية الكلمات وأحوالها؛ فيهتم بالتغيرات التي تحدث في بنية الكلمة؛ لكي توضح معناها، ويشمل السوابق واللواحق؛ إذ أن الزيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى، ومن أمثلة ذلك قول الراوي: «تشيخ مرغمة، تتساقط بصمت كغبار من أوراق حبلى بسرد قديم» (عصمان، 2023، 12).

فلفظة (تشيخ) فعل مضارع من الفعل الماضي (شاخ)، حيث اتصلت به تاء المضارعة، فغيرت دلالته الزمنية؛ ليفيد التجدد والاستمرارية.

أما لفظة (مرغمة) فهي اسم مفعول من الفعل الرباعي (أرغم)، وتدل على من وقع عليه الفعل رغمًا عن إرادته.

أما لفظة (تتساقط) فهي فعل مضارع من الفعل الماضي (تساقط)، وتحمل دلالة التفاعل التي تفيد المشاركة.

ولفظة (حبلى) اسم فاعل، تدل على الامتلاء؛ أي أنّ الذاكرة مليئة بالأحداث.

ومن أمثلة ذلك أيضًا:

«أضيع في ضياعي، والشوارع تعبر إلى آلامها» (عصمان، 2023، 13)، فالتركيب هنا يدل على حالة الضياع التي يعيشها المتكلم؛ فالفعل (أضيع) يحمل معنى الاستمرار في حالة الضياع، والمصدر (ضياعي) يحمل صفة الثبوت؛ أي أنّ المتكلم في حالة ضياع مستمرة.

يقول أيضًا: «بتُّ أضرب مسارب الرمل بقدمي لأوجعه» (عصمان، 2023، 55)، فالفعل (بتُّ) مأخوذ من الفعل (بات)، وهو يدل على الانشغال والملازمة الدائمة، كما أن الفعل (أضرب) مأخوذ من الفعل الثلاثي (ضرب)، ويحمل دلالة الحركة، في حين تشتمل لفظة (أوجعه) على همزة المضارعة التي نقلت

زمن الفعل من الماضـــي إلى المضـــارع، وجعلت الفعل يتعدى إلى مفعول به، وهو الهاء ويقدم التغير الذي طرأ على بعض صـيغ التركيب إيضـاحًا لدلالة السـياق الصـرفي، التي تصـور حال المتكلم وهو يضرب الرمل في موقف يبين حالة الغضب والصراع الداخلي الذي يعيشه.

5. السياق الدلالي:

إن الرصـيد اللغوي للمتكلم يرتبط بمعانٍ متنوعة تم التواضـع عليها وفق التغيرات الدلالية التي تفيد ربط الفكرة بصيغة جديدة، أو ربط الصيغة بفكرة جديدة (حسان، 1985، 275).

ولهذا يختص السـياق الدلالي بإبراز دلالة النص؛ لكونه البيئة التي توجد بها الكلمة، فيشـمل ما يسـبقها وما يلحقها من مفردات تسـهم في إيضـاح معناها بدقة، ويسـتخدم القرائن المحيطة بالكلمة، سـواء أكانت سابقة أم لاحقة، والقرائن المقامية، مثل قصد المتكلم والظروف المحيطة به.

فينطلق من معنى الكلمـة المفردة إلى الجملـة أو النص؛ لـذا «يلزم من العلم بـه العلم بشـــيء آخر» (الجرجاني، 1985، 109).

فالألفاظ المفردة لم توضـع لتُعرف معانيها في أنفسـها فقط، ولكن وُضـعت ليُضـم بعضـها إلى بعض، فيُعرف ما بينها من فوائد (الجرجاني، 1992، 539).

ومن أمثلة السـياق الدلالي قول الراوي: «على حافة الحرب اللعينة، التي تمحو بهجة المدن والقرى المتراكمة، والأرصفة، وأراجيح الضوء، والطفولة المسكونة بالخوف الراجف» (عصمان، 2023، 4).

اسـتخدم المتكلم ألفاظًا تجسـد حال الحرب وما تخلفه من خسـائر ودمار ورعب وخوف وترقب؛ لأن الحرب لا تُبقي فرحًا، ولا تبخل بحزن على من أصـيبوا بها، فنجد أن المتكلم اسـتخدم لفظ (حافة)، ويقصد به طرف الشيء وجانبه.

وهذه هي الدلالة المفردة للكلمة، في حين تغيرت دلالتها في السـياق من خلال التركيب: (على حافة الحرب اللعينة)، لتدل على أن الوضـع شـديد الخطورة، كما اسـتخدم لفظ (تمحو)، يقصـد به الإزالة أو التخلص من الشـيء، وهي تحمل الدلالة نفسـها بوجود الكلمة في السـياق داخل التركيب الآتي: (تمحو بهجة المدن والقرى المتراكمة)، أي تمحو الفرح والسـعادة من المدن، واسـتخدم أيضًـا لفظ (الراجف)، ويقصـد به تحرك الشـيء واضـطرابه بشـدة، في حين نجد دلالته في التركيب: (والطفولة المسـكونة بالخوف الراجف)، تدل على شدة الخوف وعدم الاستقرار النفسي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول الراوي: «حين تفقد المواسم نكهتها، يصبح وراء خديعة النفاق والألم، التلاوين الزائفة تتشـظى في أروقة الغواية، وزرائب الشـيطان، والتنقيب في عنق التاريخ الجذر» (عصـمان، 2023، 47).

اسـتخدم المتكلم الجمل الفعلية، مثل: (تفقد المواسـم نكهتها/ يصـبح النحيب/ يركض دراويش الأرض/ التلاوين الزائفة تتشظى).

وهي تفيد التغير والحدوث؛ فجملة (تفقد المواسـم نكهتها) تدل على الفقد والضـياع، أي إنها تفقد رونقها وبهجتها.

أما جملة (يصـبح النحيب) فتدل على علو البكاء وارتفاع الصـوت به، وجملة (يركض دراويش الأرض) تدل على السرعة والسعي وراء الأشياء الزائفة، رغم أنهم دراويش.

وأيضًـــا، جملة (التلاوين الزائفة تتشــظى في أروقة الغواية)، أي تنوع الألوان غير الحقيقية وتناثرها في أروقة الضـلال، تصـور التشتت والضـياع وراء الألوان الخادعة والأضـواء الزائفة، عندما تنتشـر وتتناثر لتملأ المكان.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. يختص السياق اللغوي بدراسة التركيب من ناحية بنيته، وعلاقته بما قبله وما بعده، والدلالة التي يقدمها.
2. يقدم السياق اللغوي فهمًا عميقًا للنص، ويسهم في استنباط الدلالات المتعددة.
3. إن السياق النحوي يبرز طبيعة النصوص من خلال القرائن اللفظية والمعنوية الكامنة فيها.
4. يقدم التشكيل الصوتي دلالة متنوعة تبعًا للغرض المقصود من وجوده.
5. تتضمن الرواية دلالات عميقة تتناسب مع الغرض الذي أُنشئت من أجله؛ مما يجعل المتلقي يبحث عن معانيها بدقة.

التوصيات:

توصي الدراسة بإجراء مزيد من الأبحاث في توظيف السياق لبيان الدلالات والمعاني؛ بما يسهل إدراكها والاستفادة منها.

المصادر والمراجع:

1. إرث الرماد، عبد السلام عصمان، لوتس للنشر الحر، الطبعة الأولى، ديسمبر 2023م.
2. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، الطبعة الخامسة، 1975م.
3. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جميل عبدالمجيد ، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م.
4. التكرارات الصـــوتية في القراءات القرآنية: قراءة نافع أنموذجًا، فضـــيلة مســـعود، دار الأحمد، عمّان–الأردن، الطبعة الأولى، 2008م.
5. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، دار الحديث، د.ط، 1426هـ–2005م.
6. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، 1413هـ–1992م.
7. السـياق وأنماطه في التعبير القرآني، خليل خلف الله بشـير العامري، مجلة القادسـية في الآداب والعلوم والتربية، المجلد 9، العدد 2، 2010م.
8. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1998م.
9. علم الأصـوات اللغوية، مناف مهدي الموسوي، جامعة السابع من أبريل، الطبعة الأولى، 1403هـــ–1993م.
10. الفواصل القرآنية، السيد خضر، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، 1420هـ–2000م.
11. في البلاغة العربية: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1430هـــ–2009م.

12. القاموس المحيط، مجد الدين فيروز آبادي، رتبه خليل مأمون شـيحا، دار المعرفة، الطبعة الخامسـة، 1432هـ–2011م.
13. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية: دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2012م.
14. كتاب التعريفات، محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1985م.
15. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، 1425هـ–2004م، الجزء الأول.
16. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت–لبنان، 2000م، الجزء السادس.
17. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العلمي، 1429هـ–2009م.
18. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسـم الحسـين بن محمد الراغب الأصـفهاني، مكتبة نزار مصـطفى الباز.
19. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، الجمهورية التونسية، 1986م.
20. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسـف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، 2005م، الجزء الثاني.
21. المنحى التداولي في التراث البلاغي العربي، تسـليم حمدان، رسـالة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2015–2016م.
22. مناهج البحث اللغوي، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ–1985م.
23. النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسـن علي بن عيسـى الرماني، مكتبة الجامعة المحلية الإسـلامية، 1934م.